الفوائد الدعوية الجلية المستنبطة من صلح الحديبية ((دراسة تحليلية))

يوسف محمد النور حامد.

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: omda3@outlook.com

الملخص:

لما أن السيرة النبوية قد حظيت باهتمام العلماء، فصنفوا فيها الأسفار، وحققوا مصادرها في مصنفات عديدة، وبينوا ما صح منها وما ضعف من روايات، فقد استفاد الباحث من ذلك الجهد واجتهد في إيراد النص من مصدره الأصلي، ثم حلل النص الذي يحتاج إلى تحليل مع بيان فوائده، ولذلك كُرّس الجهد في النظر في الفوائد والعبر والمواعظ التي وردت في صلح الحديبية، فاستجلت وقدمت بما ياوافق مع حاجات اليوم؛ بغية الربط بين فوائد هذا الصلح العظيم ومتطلبات الأمة اليوم، المتجددة في صور متقاربة حسب الأزمان، وعلى ضوء ما سبق جاء البحث ببعض الفوائد التي يستفيد منها القارئ الكريم أولها: حكم جواز العمرة في أشهر الحج لمن لا يريد الحج، وكذلك م ن الفوائد التي خرج بها هذا البحث المتواضع في قلته، أن حفظ الدماء أولى من سفكها، وهناك فوائد جمّة وردت في البحث أمنياتنا أن يستفيد منها القارئ الكريم، ويجعلها ربي صدقة جارية.

الكلمات المفتاحية: **الفوائد الدعوية – صلح الحديبية – السيرة النبوية – سهيل ابن عمرو– فتح مكة.**

The Clear Advocacy Benefits Inferred from the Ḥudaybiyah Treaty: An Analytical Study

Yousuf Muhammad An-Noor Hamid,

Department of Daawa and Islamic Culture, Faculty of Daʿwah and Fundamentals of Religion, Islamic University of Medina, KSA

E-mail: omda3@outlook.com

Abstract:

The biography of the Prophet (p.b.u.h.) has caught scholars' attention, so they have collected and verified what has been written in this regard, and they have indicated the authentic and non-authentic narrations. This research paper makes use of this effort, refers each text to its original source, analyzes the text when necessary, and points out its benefits. It focuses on studying the benefits, the lessons, and the morals inferred from this treaty, and it introduces them in a way that is compatible with today's life needs in order to link the benefits of this great treaty to the current requirements of the nation. The findings of the research can be useful to the readers; for example, it is permissible for Muslims who do not intend to perform the pilgrimage (Haj) to perform ʿUmrah during the months of pilgrimage.

Keywords: Advocacy benefits –Ḥudaybiyah Treaty –Prophet's biography – Suhayl ibn ʿAmr –Conquering the unbelievers of Makkah

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ- .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، له الشكر والحمد أن بعث لنا محمـــد ابن عبد الله رسولاً نبياً ﷺ ، ترجم لنا بأعماله وأفعاله وأقواله وأخلاقـــه مـــنهج الإسلام تطبيقاً وعملاً ، وأعطانا المثال في العبادات ، والمعاملات ، والأخـــلاق ، في البيت والمسجد ومع الأصدقاء والأقارب والأعداء .

فنصر الله تعالى به هذا الدين القويم ، حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، من عرب وعجم ، بل وضربوا أكباد الإبل فـــي حياته حتى رأوه وآمنوا به ﷺ .

وقد عني علماء هذه الأمة بتسجيل سيرته العطرة ، في تفاصيلها الدقيقـــة حتى وصلت إلينا كما كان عليه الصلاة والسلام فـــي الحقيقـــة ، وعُقِـــدَت لهـــا الجلسات والمناقشات العلمية في دور العلم المختلفة .

ولقد تضمنت سيرته ﷺ- ما يحتاج إليه الإنسان في دار معاده ومعاشه من الفوائد والدروس والعظات والعبر ما تغني عنه أسفار الكتب والمصنفات ، وإنهـــا لتعطي كل جيل ما يحتاجه من الهدي المبارك ، الذي ينير لـــه طريـــق مســـيرته العلمية والدعوية والتربوية والأسرية والاجتماعية ، وفي آدابه الخاصة وأخلاقه العامة ، وفي مهنته ومدرسته وجامعته ومحيط أصدقائه ومع زوجته وأبنائه .

وإن دراسة السيرة بعمق من التفكير لسبر غور ما فيها من فوائد مكنونـــه لعمل دائم لا تنقطع غزارة فوائده، فروافد السيرة النبوية تتعدد في شعب الحيـــاة المختلفة لتغذي بها أفئدة السائرين إلى الحق والطريق المستقيم . فتشحذ الهمـــم وتعلوا بالخُلُق وترفع الذكر ويتوسع بها الذهن ، وتزكوا بها الأنفس ، وتتعطر بها

الطباع ، وتنصلح بها المفاهيم الفاسدة ، وتحيا بها القلوب الميتة ، ويتوسع بها الأفق ، ويتزين بها الأدب ، فقد تغذى بها العلماء فأنار الله بها أفئدتهم وعقولهم وانقدح على الخير فكرهم ، وورثوا سيرته وعلمه ، فأورثهم الله محبة خلقه ، فتدافع الناس إليهم يتعلمون من علمهم ، ويهتدون بفقههم .

ولما أن في السيرة النبوية العطرة من الفوائد مالا يحصيه ويقتفيه العلماء ، ويحده الباحثون ، رأيت أن أدرس سيرته ﷺ- واستجلي منها ما يوفقني الله تعالى إليه من الفوائد الدعوية في العبر والدروس والعظات ، ليستفيد في الأخذ منها من يوفقه الله تعالى إلى هذا البحث .

وإن منهجي في هذه الدراسة يقوم على أن السيرة النبوية قد حظيت باهتمام العلماء لما تحويه من فوائد دعوية بل كلها دعوة إلى الله تعالى ، فصنفوا فيها الأسفار ، وحققوا مصادرها في مصنفات عديدة ، وبينوا ما صح منها وما ضعف من الروايات ، وبيَّن بعضهم اختلاف الروايات للحدث الواحد ، فقد استفدت من ذلك الجهد العظيم ، واكتفيت بالنص الواحد إذا تعددت الروايات .

واجتهدت في إيراد النص من مصدره الأصلي كما هو ، ثم أحلل هذا النص إذا احتاج إلى ذلك مع بيان فوائده وتطبيقاته .

وبالتالي لم أكثر من ذكر الروايات ، بقدر ما أنظر في الرواية من فوائد وعبر ومواعظ ، فأستجليها وأقدمها بما يتوافق مع حاجات اليوم بُغية الربط بين السيرة النبوية وحاجات أبناء الأمة التي تتجدد في صور متقاربة حسب الأزمان ، ولم يستوعب هذا البحث كل دقائق وتفاصيل السيرة النبوية من الشمائل والأحكام وغيرها ، بل هو قطف متدرج بحيث يجد القارئ الملامح العامة للسيرة النبوية العطرة التي اعتاد أن يقرأها في كتب السيرة .

ومما قمت به عزو النصوص والشواهد إلى مصادرها الأصلية ، وكذلك عزو الآيات القرآنية إلى مكانها من المصحف الشريف ، والأحاديث النبوية إلى مصادرها من كتب السنة .

الكلمات المفتاحية :

١/ الفوائد : وهي مجموع الفائدة التي استخرجت من البحث .

٢/ الدعوية : من الدعوة إلى الله تعالى .

٣/ المستنبطة : أي المستخرجة من البحث بطريقة الاستنباط .

٤/ الصلح : هو ما تصالح عليه النبي ﷺ مع قريش .

٥/ الحديبية : مكان قريب من مكة المكرمة حيث وقع الصلح

سبب اختيار الموضوع:

كشف وبيان الفوائد التي تستفيد منها الأمة الإسلامية من صلح الحديبية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، هذا بجانب المنهج التحليلي أحياناً، وايراد النص من مصدره الأصلي وعزو النصوص والشواهد إلى مصادرها الأصلية .

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الفوائد في اللغة والاصطلاح .

أولاً: مفهوم الفوائد لغة .

ثانياً: مفهوم الفوائد اصطلاحاً.

المبحث الثاني : الفوائد المستنبطة من إرادة النبي ﷺ لأداء العمرة .

المبحث الثالث : الفوائد المستنبطة من تحرك النبي ﷺ للعمرة .

المبحث الرابع : الفوائد المستنبطة من نزول النبي ﷺ بالحديبية ومشاورة أصحابه .

المبحث الخامس : الفوائد المستنبطة من عقد الصلح مع قريش .

الخاتمة : وبها النتائج والتوصيات .

ثبت بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول

مفهوم الفوائد في اللغة والاصطلاح

الفائدة : ما أفاد الله تعالى العبد من خير يستفيده ويستحدثه ، وجمعها فوائد .

يقال إنهما ليتفايدان بالمال بينهما : أي يفيد كل واحد منهما صاحبه . والناس يقولون : هما يتفاودان العلم : أي يفيد كل واحد منهما الآخر .

والفائدة ما استفدت من علم أو مال ، تقول منه : فادت له فائدة . أفدت المال : أي أعطيته غيري . وأفدته : استفدته . وفاد المال نفسه لفلان : يفيد إذا ثبت له مال .

والاسم الفائدة . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الرجل يستفيد المال بطريق الربح أو غيره ، قال : يزكيه يوم يستفيده : أي يوم يملكه .

وهذا لعله مذهب له ، وإلا فلا قائل به من الفقهاء إلا أن يكون للرجل مال قد حال عليه الحول ، واستفاد قبل وجوب الزكاة فيه مالاً ، فيضيفه إليه ويجعل حولهما واحداً ويزكي الجميع . وهو مذهب أبي حنيفة وغيره[١] .

ونقول فادت لفلان فائدة فيداً : حصلت له هذه الفائدة . والمال لفلان : ثبت له ، وفلان : تبختر .

أفاد فلان علماً أو مالاً : اكتسبه ، يقال : أفاد منه مالاً أو علماً : أي اكتسبه إياه .

وتفايدا بالمال أو العلم : أفاد كل واحد منهما صاحبه . والفائدة : ما يستفاد من علم أو مال أي ربح المال في زمن محدد بسعر محدد وتسمى فوائد[٢] .

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ، (٣٤٩٨/٦) .

(٢) المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية ، (٧١٤/٢) .

فاد فيداً : المال له : ثبت وقيل ذهب . وفادت له فائدة : أي حصلت له هذه الفائدة . وأفاد إفادة : الرجل ، علماً أو مالاً : أعطاه إياه [١].

واستفاد منه علماً أو مالاً : أخذ منه واكتسبه . وتفايد القوم بالمال : أفاد كل واحد منهما صاحبه . والفائدة : الزيادة تحصل للإنسان [٢].

ومن هذه التعاريف اللغوية السابقة الذكر ، نخلص إلى أن الفائدة وجمعها فوائد . هي ما يستفيد منه الإنسان في حياته من زيادة في العلم أو المال ينتفع به .

(١) المنجد / معلوف ، ص٤٢٧.

(٢) المنجد / معلوف ، مرجع سابق ، ص٤٢٨ .

المبحث الثاني

الفوائد الدعوية المستنبطة من إرادة النبي ﷺ لأداء العمرة :

من حق أي إنسان مسلم أن يزور بيت الله الحرام ، ويطوف به ، وفي قديم الزمان قالوا من حق أي عربي أن يزور البيت ويطوف به ، ولكن قريشاً تفكر بطريقة مختلفة ، فهي لا تنظر إليه حقاً من حقوق خصمها ، الذي يجب عليها أن تؤمن له الحماية مادام على أرضها ، وهذه من صفات قريش الكريمة العتيدة المحسوبة لها ، لكنها تنظر إلى عمرة النبي ﷺ على أنها هزيمة يلحقها محمد ﷺ وأصحابه بها كسابقاتها(١).

كيف يطوف هو وأصحابه وقد طردوهم بالأمس من مكة ؟ كيف يأتون مكة دون إذن قريش ؟ أين مكانة قريش وأصنامها ؟ .

سؤال ضاقت به مكة ، أما الرسول ﷺ فلم يبالي برأي قريش ، لقد أراه الله تعالى في منامه رؤيا ، ورؤيا الأنبياء وحي ، وقد قص النبي ﷺ على أصحابه تلك الرؤيا ، وبشرهم بأنهم يطوفون ببيت الله الحرام بعد طول غياب عنه .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ : (كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به) (٢). فتهللت وجوه الصحابة وأفرحهم الخبر ، وأعدوا للسفر عدته(٣).

---

(١) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة / محمد الصوياني ، ج٣ ، ط٣ ، العبيكان الرياض ، ٢٠٠٩م ، ص١٢٠ .

(٢) صحيح البخاري ، البخاري ، حديث رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢) ، وهو حديث طويل.

(٣) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة / محمد الصوياني ، مرجع سابق ، ص١٢١.

وفي ذي القعدة من سنة ست للهجرة خرج النبي ﷺ وأصحابه للعمرة . ولذا سميت هذه العمرة بعمرة الحديبية .

والحديبية اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً إلى الشمال الغربي من مكة المكرمة ، وتعرف بالشميسي(١).

وكان خروجه ﷺ ليس بهدف القتال وإنما للعمرة كما جاء عنه ﷺ في الحديث (.....إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين .....) (٢).

وبالرغم من هذا الهدف غير القتالي إلا أن خروجهم فيه من الفوائد أنه مزيد من الإعلان بأن هذا الدين يُعَظّم شعائر الله تعالى ، وستعلم العرب بما صار عليه المسلمون من القوة التي تمكنهم من القدوم إلى مكة معتمرين ، غير آبهين بقوة قريش ، بل إن في ذلك كسر لتمرد كفار قريش وإعلان ضعفها من قبل المسلمين(٣).

ومن الفوائد أيضاً أن الدولة المسلمة المضطهدة يلزمها الصبر أولاً ، وإعزاز قوتها ومكوناتها ثانياً ، وأن لا تبادر بإثارة أعدائها عليها ، وأن الحكمة مطلب في التعامل مع الأحداث ، وأن الأخذ بسنن الله تعالى مطلب يلزم الأخذ به ، كما أخذ به النبي ﷺ (٤).

ومن الفوائد أيضاً أن توجه النبي ﷺ إلى مكة مع أصحابه كشفت الكثير من الأمور على ساحة الصراع ، وأوضحت للعرب مدى صحة الدين الجديد وبطلان

---

(١) الطبقات الكبرى / ابن سعد ، (٩٥/٢).

(٢) صحيح البخاري ، مرجع سابق ، (٢٧٩/٢) ، حديث رقم ٢٧٣٢.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة / أكرم ضياء العمري ، (٤٢٤/٢) .

(٤) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد الحازمي ، ط١ ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٦م ، ص٣٧٥.

السياسة التي تتخذها زعامة قريش من هذا الدين ، وبذلك بدأت مواقف القبائل العربية تأخذ شكلاً جديداً ، فتح الطريق أمام دخول العرب في دين الإسلام(١).

ولما أراد النبي ﷺ التحرك نادى في أصحابه ودعا الأعراب المتناثرين حول المدينة المنورة لمصاحبته ، لما في هذه الدعوة من فائدة لعل هذه العمرة تذيب ما ببعضهم من جلافة وجفاء . ولكن بعض الأعراب تصحر من رأسه حتى أخمص قدميه ، فهم يتلهفون للنهب والسلب والغنيمة الباردة ، وبعضهم وإن ادعوا الإسلام إلا أن أرقام قريش مازالت تخيفهم ، وحشود الأحزاب مازالت في نظرهم تكمن خلف الأكمات والهضاب . أما نصر الله ووعده والثقة برسول الله ﷺ ووحي الله له فلا رصيد لها في تلك النفوس المتكلسة(٢).

ولقد ظنوا أن قريش ستفني النبي ﷺ وأصحابه ، فلا داعي للمجازفة في معركة معروفة النتائج سلفاً ، ولذا فقد ادعوا أنهم مشغولون بأموالهم وأهليهم وشؤون دنياهم ، ولكن الوحي نزل بفضح سوء ظنهم بالله ورسوله . ويعري حقيقتهم ويكشف عارهم .

ويقول العليم الخبير : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا

(١) أخلاق الحرب في السيرة النبوية / مروان شيخ الأرض ، ط١ ، دار غار حراء ، دمشق ، ٢٠٠٨م ، ص٢٢٥ .

(٢) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة / محمد الصوياني ، مرجع سابق ، ص١٢٢.

تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الفتح: ١١ - ١٢

آيات عظيمات تخترق أعذار بعض الأعراب الواهية لتنزع منها جبنهم وأسرار تخلفهم ولابد أن المنافقين شاركوهم الرأي والتخلف ، ولذا لم يلح النبي ﷺ عليهم فلا خير فيهم ولافي صحبتهم(١).

وقد كشف الله تعالى مكنون انفسهم ، وما كانوا عليه من سوء الظن بربهم سبحانه ، وبنبيه ﷺ وبالنتيجة التي سيؤول لها أمر الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

فمن الفوائد أن ما ظنه الأعراب يفيد أن استقراء الواقع في معزل عن سنن الله تعالى الكونية والشرعية ، مع عدم ربط ذلك بقدرة الله تعالى وقدره ، يعطي نتائج مغلوطة وخاطئة ، كما يفيد خبر الأعراب أن ضعف الإيمان يجعل المرء لا يثبت على مبادئه ويدافع عنها ، بل تلعب به الأهواء والعواصف كيفما اتجهت وتحولت . كما أن التبرير الذي يقبله الناس نتيجة محدودية علمهم الدنيوي فقط ، دون ربطه بالجانب الشرعي يُحدث شرخاً عظيماً في الاستقراء العلمي ، ثم في نتائج ذلك . كما أن التبريرات النفسية وإظهار عكس ما يبطن المرء لا يخفى على الله تعالى وإن خفي عن الناس ، فليعلم الإنسان أنه لا لأحد يستطيع أن يدفع ما أراده الله تعالى من نفع أو ضُرّ أراده الله قدراً وشرعاً(٢).

(١) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة / محمد الصوياني ، مرجع سابق ، ص١٢٢.

(٢) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد مبارك ، مرجع سابق ، ص٣٧٦.

المبحث الثالث

الفوائد الدعوية المستنبطة من تحرك النبي ﷺ للعمرة

(خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه . فلما أتى ذا الحليفة قلّد الهدي وأشعره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خزاعة .....) (١).

من الفوائد المستنبطة من تحرك رسول الله ﷺ للعمرة ، نتبين مدى أهمية أخذ الحيطة والحذر لأن النبي ﷺ بعث عيناً له قبل أن يتحرك حتى يستجلي الطريق ويعرف ما تخبئه له قريش ، لذا أرسل بشر بن سفيان الخزاعي لهذه المهمة(٢).

فإن رسول الله ﷺ يأخذ بالأسباب ، ويأخذ بسنن الله تعالى التي يلزم المسلم العناية بها ، وأن لا يكون متواكلاً . وبعد أن علم النبي ﷺ تحرك قريش وعزمها بصده من البيت استشار أصحابه ، وكان النبي ﷺ كثيراً ما يستشير أصحابه ، فقال في هذا الموقف : (.... أشيروا علَّي أيها الناس ، أترون أن أميل إلى عيالم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟ فإن يأتونا كان الله عز وجل قطع عيناً من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين ، فقال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : أمضوا على اسم الله) (٣). فسلك بهم رسول الله ﷺ طريقاً آخر .

---

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (١٣١/٣) ، حديث رقم ٤١٧٨ .

(٢) فتح الباري من صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني ، (٤٥٤/٧).

(٣) صحيح البخاري ، مرجع سابق ، (١٣١/٣) حديث رقم ٤١٧٩.

ويظهر من هذا الموقف فوائد عديدة ، منها أهمية اتخاذ المسلك المناسب في الوقت المناسب ، وأن مقاتلة العدو ليست في كل وقت شجاعة وحنكة ، بل ربما توخيه عين الحكمة والسياسة افضل .

ومن الفوائد أن على المسلم أن يتخذ لنفسه ولغيره طريق السلامة ، وإن كانت شاقة ، كما أن مسار الحياة والدعوة فيه الكثير من المشقة .

ومن الفوائد أيضاً أنه عندما بركت راحلته ﷺ وحكم الناس عليها بما رأوا فقالوا : حل حل وهي كلمة تقال إذا تركت الناقة السير ، فألحت أي تمادت في عدم القيام ، قال ﷺ منصفاً لأخلاق ناقته القصواء : (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخُلُق ولكن حبسها حابس الفيل) [١].

ومن الفوائد في هذا الموقف أن للإنسان أن يتحدث بما يعرف وبما إعتاده عن الشيء . وإن خالف حقيقة ما يجهله ، وأن على من له معرفة أن ينبه المتحدث إلى حقيقة الأمر ليصحح حكمه وفهمه .

وبهذا فلا يوصف الإنسان بما يطرأ على تصرفاته من سلوك حميد أو ذميم وإنما العمدة على ما أصبح له سجية وطبعاً وعادة عُرف بها . وإن كان الخطأ ينسب إليه ، ولا ينسب هو للخطأ ، وبالتالي لا يوصف به على أنه طبيعة له . وأما ما يتعلق بتطبيق العقوبات الشرعية والحكم القضائي ، فيأخذ مجراه وفق شريعة الله تعالى[٢].

(١) المرجع نفسه ، (٢/٢٧٩) حديث رقم ٢٧٣١.

(٢) أصول التربية الإسلامية / خالد بن حامد الحازمي ، ص١٦٧.

ومن الفوائد أن النبي ﷺ دفع عن عرض هذه الناقة وهي غير مكلف ، فمن باب أولى الدفع عن عرض المكلف المصون بأن لا نقول غيبة في أحد أو نسمعها في أحد ، وندفع الغيبة ونرد على المغتاب(١).

ومن الفوائد بعد أن استشار النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم أجمعين قال: (.... والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خُطةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ....) (٢). وقد بيّن ﷺ لأصحابه في هذا الموقف مبدأ التعامل مع كفار قريش ، بأنهم لن يسألوه خطة أي خصلة يعظمون فيها حرمات الله تعالى ، من ترك للقتال في الحرم إلا أجابهم إليها ، وهذا من تعظيمه ﷺ للبيت الحرام ولحرمات الله تعالى ، وهذه فائدة في تقرير المبدأ النبوي في التعامل .

فإذا كان هذا التعظيم يتوقع حدوثه من كفار قريش فالفائدة هنا تكمن في أن المسلم هو أدعى لتعظيم هذا البيت من غيره وفي كل وقت وحين ، خاصة عندما يأمره بذلك القائمون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المسلمين وأن لا يتعامل معهم بسوء أدب ، أو جفاء ، فكما عظّم النبي ﷺ ما يمكن أن يصدر من كفار قريش حيال تعظيم الحرم ، فإن في صدور ذلك من المسلم حتماً أولى(٣).

لقد كان من حكمة النبي ﷺ أن تحول عن طريق خيالة قريش حتى يتجنب القتال معهم من جهة ، ويرجعوا على مكة من جهة أخرى ، فيؤخر القتال ويترك

---

(١) فقه السيرة / زيد بن عند الكريم لزيد ، ط٨ ، دار التدمرية ، الرياض ، ١٤٣٢هـ ، ص٥٣٤.

(٢) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٧٩) حديث رقم ٢٧٣٢ .

(٣) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد مبارك ، مرجع سابق ، ص٣٨٠ .

مجالاً للتفاوض ويؤكد لهم أنه لم يخرج يريد الحرب وإنما خرج محرماً يريد العمرة .

وفائدة هذا تدل على أهمية دراسة الواقع ووضعه في مكانه ونصابه ، كما أنه كلما أمكن التفاوض مع الخصم والوصول إلى الهدف بطريق السلم أفضل من التحرك إلى المواجهة العسكرية[١].

وفائدة أخرى تدل على أن كل من التمس المعاونة على ما يرضي الله تعالى وعلى تعظيم حرماته سبحانه أجيب إلى ذلك كائناً من كان ، ما لم يترتب على ذلك مبغوض لله أعظم منه[٢].

وهذا يرد على من يتهمون الإسلام بأنه دين حرب وسفك دم الأبرياء . إذ هذا رسول الله ﷺ يفتح جميع الأبواب الموصلة إلى صلة الرحم والحفاظ على أرواح الأبرياء والتفاوض مع الخصم للوصول إلى الهدف مع عدم إبداء أي تنازل عن مبدأ الدعوة .

(١) بدر التمام في سيرة خير الأنام / علي بن عمر ، ط١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠١٥م ، ص٣٤٨ .

(٢) زاد الميعاد في هدي خير العباد / ابن القيم ، (٣٠٣/٣) .

المبحث الرابع

الفوائد الدعوية المستنبطة من نزول النبي ﷺ بالحديبية ومشاورة أصحابه في ذلك

نزل النبي ﷺ بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً ، فلم يُلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى الناس إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ....) (١).

يوضح هذا المشهد من الحديث ما كان من نزولهم الحديبية ، على ثمد أي حفرة فيها ماء مثمود – أي قليل – فيأخذ الناس قليلاً قليلاً وهو معنى يتبرضه . فلم يتركه الناس إلا وقد انتهى من نزحهم له .

وهذه مشكلة قد واجهت المسلمين في هذا الموقع ، مما يدل على أن المؤمن مهما قوي إيمانه ، ومهما كان صلاحه فإنه معرض للابتلاء ، فليس هناك خير من رسول الله ﷺ يواجه قلة الماء ، بل انتهاء الماء من مصدره ولكن لطف الله وعنايته وولايته تحف عباده المؤمنين(٢).

وبمتابعة أحداث أمر نزول النبي ﷺ بالحديبية من الحديث السابق الذكر يأتي موقف التفاوض حيث جاء في الحديث .. (.... فبينما هم كذلك إذ جاء بديل ابن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه خزاعة ، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة – فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٧٩) حديث رقم ٢٧٣١.

(٢) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد مبارك ، مرجع سابق ، ص٣٨١.

الحديبية ومعهم العوذ والمطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي ﷺ : (إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ....) [١].

ويبين هذا المقطع من الحديث مكانة قبيلة خزاعة من رسول الله ﷺ فهم عيبة رسول الله ﷺ – أي أنهم موضع النصح له والأمانة على سره – والعيبة : ما توضع فيه الثياب لحفظها .

ويستفاد من ذلك جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم .

ومن الفوائد جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم ، ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا موالاة أعداء الله ، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم ، وإنكاء بعضهم البعض ، ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الإطلاق[٢].

ومن الفوائد أيضاً ما يدل على أن كل ما التمس المعاونة على ما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ وتعظيم حرماته سبحانه أجيب إلى ذلك كائناً من كان ما لم يترتب على ذلك مبغوض لله أعظم منه[٣].

وقد نصح بديل ومن معه لرسول الله ﷺ وأخبروه بما كان من أمر قريش بأنهم تجمعوا في الحديبية واستحوذوا على أماكن المياه ، وقوله نزلوا أعداد مياه الحديبية أي الماء الذي لا انقطاع له . وأن معهم ذوات الألبان من الإبل ليتزودوا

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٨٤) حديث رقم ٢٧٣٢.
(٢) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد الحازمي ، مرجع سابق ، ص٣٨٢.
(٣) بدر التمام في سيرة خير الأنام / علي بن عمر وآخر ، مرجع سابق ، ص٣٤٩.

بألبانها ، ولا يرجعوا حتى يمنعوه ﷺ ، وهو ما عبر عنه بقوله : زمعهم العوذ المطافيل . فالعوذ الناقة ذات اللبن ، والمطافيل : الأمهات الاتي معها أطفالها .

وإزاء هذا التجمهر من كفار قريش يبين ﷺ أنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء واصحابه ليعتمروا ، ثم يبين عليه أفضل الصلاة والسلام لبديل بن ورقاء ما لحق بقريش من الحرب إزاء تعنت مشركيها ، وما يقترحه عليهم من خير الرأي النبوي الكريم ، فيقول عليه أفضل الصلاة والسلام : ((.... وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلو بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره ....)) (١).

لقد بين رسول الله ﷺ أثر الحرب على قريش وما صنعت بهم ، بما يستثير عقولهم من غفلتها ، عن ما لحق بهم من هلاك لرجالهم دون اعتبار ، وفي هذا دليل حرصه ﷺ على حفظ الدماء حتى لأعداء الإسلام ، مالم يدخلوا معه في حرب ، أو يكيدوا لدين الله تعالى ، وهذا يفيد ويوضح ويؤكد أهمية عناية الإسلام بالدماء وصيانتها وحفظها ، ما كان لذلك سبيلاً .

ومن هنا يظهر الأسلوب التفاوضي المملوء بالحق وتنبيه الغافل عن سجايا الإسلام وهديه ، وهذا ما أكده عقلاء كفار قريش عندما سمعوا مقالة رسول الله ﷺ هذه .

وقد خيرهم رسول الله ﷺ فإن شاءوا ماددهم . أي جعل بينه وبينهم مدة من الزمن تتوقف فيها الحرب . وهنا سيحصل أحد أمرين : إما أن يظهر غيره

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٨٤) حديث رقم ٢٧٣٢.

عليه ، فكفاهم المؤنة وإما أن يظهر النبي ﷺ ، فإن شاءوا دخلوا في دين الله تعالى ، وإلا فلا تنقضي مدة الصلح إلا وقد جموا أي استراحوا وتقووا .

وردد الأمر ﷺ مع أنه جازم بأن الله تعالى سينصره ويظهره ، لوعد الله تعالى له بذلك ، على طريق التنزل مع الخصم ، وفرض الأمر على ما زعم الخصم(١).

والفوائد التي نجنيها من هذا الأسلوب أن يُنزل المتفاوض الاحتمالات المتوقعة للعدو جميعها ، ليريه الإنصاف ، وليبين له العدل في الكلام أولاً . وليرى الله من نفسه أنه تحت مشيئته سبحانه وتعالى ثانياً .

ومن الفوائد أيضاً أهمية التحدث بما يدركه المقابل ويستوعبه ، ثم يختم عرضه بما يبين عزمه وقوته وشجاعته وثقته في الله تعالى(٢).

ويتبين من هذا كله أن النبي ﷺ لا يريد منهم سوى الإسلام ، وأن مقاتلته ومحاربته لهم ليس على سبيل حب النصر والاستحواذ على الأموال ، أو المكانة ، وإنما لأجل هذا الدين فقط .

والفائدة من ذلك بيان أهمية الإخلاص لله تعالى في العمل حتى وإن كانت على أبواب ذلك العمل تحقق خير الدنيا والآخرة . فلا ينظر إلا ما كان لله تعالى ، ولذلك لم يستكثر ﷺ من الأموال وجمعها ، وكذلك من زخرف الدنيا ومتاعها ، وقد جاءه من الخير ما يجعله كذلك ، ولكنه ما حفظ لنفسه أموالاً ولا ظهر على

(١) فتح الباري من صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني ، مرجع سابق ، (٣٣٨/٥).
(٢) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة / محمد الصوياني ، مرجع سابق ، ص١٣٣.

محياه حب الوجاهة ، فما أحرى ذوي المناصب الاجتماعية بهذا المسلك النبوي العظيم[١].

بعد أن سمع بديل بن ورقاء المشورة من رسول الله ﷺ عزم على أن يذهب بها إلى قريش . فقال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً . قال : إنا جئناكم من هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . فقال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ ...) [٢].

لقد استخدم بديل أسلوب التشويق في عرض مقالة رسول الله ﷺ فلم يبادرهم بها ، وإنما أفادهم بأنه قدم على رسول الله ﷺ وسمع منه عرضاً يعرضه عليهم ، إن اشتهوا سماعه ومعرفته ، وكذلك في هذا الأسلوب من بديل التقدير لهم ، وهذا أدعى لسماعهم بحكمه . مما يوضح أهمية تقدير المخاطب مهما كانت البغضاء له ، حتى يسمع ويستوعب المقال . وهذا من الحنكة السياسية التفاوضية والتي لها أثر بالغ وفاعل في تحقيق المقصد المراد[٣].

ومن الملاحظ أيضاً في مثل هذه المواقف أن سفهاء القوم أياً كانوا يبادرون مجالسهم بالحديث ، ولكن لا حظ لهم دائماً في صواب الكلام والرأي . وفيه أيضاً

---

(١) في ظلال السيرة النبوية / مشعل عبد العزيز ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص١٩٣ .

(٢) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٨٤) حديث رقم ٢٧٣١.

(٣) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد الحازمي ، مرجع سابق ، ص٣٨٥ .

لا يلزم إذا بادر أحد برأي خاطئ أو ضعيف أن يستسلم له العقلاء . وعلى المبلغ أن لا ينزعج إذا رد كلامه ابتداءً ، بل يتأنى حتى يؤدي رسالته[١].

ثم أتى قريشاً بعد بديل بن ورقاء الخزاعي ، بشر بن سفيان وقال لهم نحو ما قاله بديل ، ولكنهم قالوا لهم : إن كان جاء لا يريد قتالاً ، فـوالله لا يـدخلها علينا عنوةً أبداً . ولا تحدث بذلك عنا العرب[٢].

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقـبلاً قال لأصحابه : (هذا رجل غادر) .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (إن هـذا من قوم يتألهون[٣]، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه) . فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى[٤].

وهنا تتجلى الفائدة في حكمة رسول الله ﷺ وحنكته كقائـد حيـث عـرف الرسل الذين يأتونه ، وما ينبغي أن يظهره لكل منهم ، حتى ينقلوا الصورة التـي يريدها لمن أرسلهم ، فالأول مع غدره والآخر مع تألهه كلهم نقل أن النبـي ﷺ لم يأت لقتال وإنما جاء للعمرة .

(١) بدر التمام في سيرة خير الأنام / علي بن عمر وآخر ، مرجع سابق ، ص٣٥١.
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، (٣٠٣/٣).
(٣) يتألهون : أي يتعبدون ويعظمون الله.
(٤) بدر التمام في سيرة خير الأنام / علي بن عمر ، مرجع سابق ، ص٣٥٠.

ومن الفوائد هنا ينبغي للدعاة أن يكون مظهرهم يدل على ما يريدون من دعوة الناس للخير على اختلاف أصنافهم ، ويظهروا للمدعوين ما يناسب حالهم من محاسن الإسلام ليرغبوا في الدخول فيه(١).

بعد أن جاء لهم هؤلاء الرسل بما قاله رسول الله ﷺ قام أحد عقلائهم وهو عروة بن مسعود فقال : " أي قوم ألستم بالوالد ؟ قالوا بلى . قال : أو لست بالولد ؟ قالوا بلى . قال : فهل تستهموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلما لحقوا علّي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى ....." (٢).

والفائدة من هذا الحديث أن الأسلوب الخطابي من عروة بن مسعود الثقفي ، يبين أهمية تقرير إخلاص الناصح إذا ظن أنه قد يُفهم فهماً خاطئاً ، أو أن لا يدرك مبلغ كلامه ورأيه ، خاصة وأنه قد سبقه من يعارض مبدأ الاستماع ، فضلاً عن قبول محتواه . وهذا يدلل على أن العرب كانت قديماً تفطن لمنهجية التعليم ، والاستثارة البلاغية والكلامية ، ليبلغ الكلام مبلغه ، ولا ريب أن ينزل القرآن الكريم بهذه اللغة العظيمة على أناس بلغوا شأواً بعيداً في مضمار الخطاب اللساني ، فجاء القرآن الكريم بما هو أعظم وأجمل مما وصلوا إليه(٣).

(١) السيرة الحلبية / برهان الدين الحلبي (٢/٧٠٥).

(٢) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٧٩) حديث رقم ٢٧٣٢.

(٣) المعين الرائق من سيرة خير الخلائق / سعيد محمد صالح ، ط٥ ، ٢٠١٥م ، دار الفكر ، القاهرة ، ص٢٦٥.

وبعد هذا الكلام المثير من عروة بن مسعود الثقفي ، قال عن عرض رسول الله ﷺ لهم " ..... إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد أقبلوها ودعوني آتيه ، قالوا إئته فأتاه ....." (١).

وهذا الأسلوب اللفظي البارع استطاع أن يجمع رأي قريش على رأي واحد وهو أن يذهب إلى رسول الله ﷺ .

من الفوائد أيضاً والتي تظهر من وصفه لرأي رسول الله ﷺ قوة وعدل رسول الله ﷺ في حكمه وتعامله ، حتى أن عدوه وصف رايه ﷺ بأنه خطة رشد وفي هذا أهمية العدل في الرأي وما يحتويه من إنصاف حتى يقبله الطرف الآخر وهو من الحكمة التي لا تتجاهل فهم وإدراك الطرف الآخر ، خاصة وأن رسول الله ﷺ يدرك أن الله تعالى ناصره ، عندما قال في تمام كلامه ﷺ لبديل بن ورقاء : (لينفذن الله أمره) . ومع ذلك وضعهم أمام الاحتمالات التي يتوقعونها(٢).

(١) صحيح البخاري ، البخاري ، مرجع سابق ، (٢/٢٨٤) حديث رقم ٢٧٣١.

(٢) المعين الرائق من سيرة خير الخلائق / سعيد محمد صالح ، مرجع سابق ، ص٢٦٦.

المبحث الخامس

الفوائد الدعوية المستنبطة من عقد الصلح مع قريش

جاء سهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ مرسل من قريش ليفاوضه في الأمر ويملي عليه شروط قريش ، فلما رآه النبي ﷺ قال لأصحابه : (قد سهل لكم من أمركم ...) (١).

وتتكرر أهمية معرفة الخصائص البشرية في مقدم مكرز حيث بين النبي ﷺ ما عليه الرجل أنه غادر . وتتأكد كذلك في مقدم سهيل بن عمرو ، التفاؤل باسمه لما يتضمنه الاسم من السهولة . وكان كما قال النبي ﷺ فكتبت المعاهدة على نحو المجريات التالية :

(..... قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات أكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبي ﷺ الكاتب ، وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه . فقال النبي ﷺ : (أكتب بسم الله الرحمن الرحيم) ، فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب بسمك اللهم . كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي ﷺ : (أكتب بسمك اللهم) ثم قال : (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن أكتب محمد بن عبد الله . فقال النبي ﷺ : (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، أكتب محمد بن عبد الله) . وذلك لقوله ﷺ : (لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) . فقال النبي ﷺ : (على أن تخلوا بيننا وبين

(١) السيرة النبوية / ابن هشام ، (٣/٣٢٦).

البيت فنطوف به) . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغطة ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل : على أنه لا يأتيك منا رجل – وإن كان على دينك – إلا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ، فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فلما رآه سهيل بن عمرو قال : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ، أن ترده إلّي . فقال النبي ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ﷺ : فأجزه لي . قال : ما أنا بمجيزه لك . وقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت – وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله ....) [(١)].

ويتبين من هذا المقطع التفاوضي مقصد الرسول ﷺ السلمي ، وحقنه للدماء ، ريثما تفكر قريش في أمرها ، فربما يؤوب المشركون إلى رشدهم .

كما يتبين التزامه ﷺ بما تعاهد عليه مع الخصوم[(٢)]. ويستفاد من هذا أهمية السعي لحفظ الدماء ما كان لذلك سبيلا ، وكذلك حفظ العهود والمواثيق ، وأن الحرب في الإسلام ليست مطلوبة لذاتها أو لأخذ الناس بالباطل ، أو للاستحواذ على مقدراتهم .

ومما يؤكد عناية الإسلام بحقن الدماء ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم رحمة الله تعالى عليه ، عن أنس رضي الله عنه : ((أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين ، يريدون غِرّة النبي

(١) صحيح مسلم ، مسلم ، (٣ /١٤٤٢) حديث رقم ١٨٠٨.

(٢) الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد الحازمي ، مرجع سابق ، ص٣٩٥.

ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه ، فأخذهم سلماً فاستحياهم . فأنزل الله عز وجل : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [(١)] الفتح: ٢٤

وكرر المحاولة ثلاثون شاباً عليهم السلاح أثناء إبرام الصلح فخلى سبيلهم ﷺ [(٢)].

وفي رواية أخرى يظهر موقف أدبي رائع وعظيم من علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، قد جاء في صحيح مسلم : (كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين سهيل بن عمرو الذي يمثل المشركين يوم الحديبية ، فكتب : هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : لا تكتب رسول الله ، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك . فقال رسول الله لعلي : أمحه . فقال علي : ما أنا بالذي أمحاه . فمحاه النبي ﷺ بيده ....) [(٣)]. وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ : (أرني مكانها ، فأراه مكانها فمحاها) .

ومن هنا نرى مكانة النبي ﷺ في نفس علي كرم الله وجهه ، إذ لم تجرؤ أن تمتد يده لتمحو لفظ رسول الله ﷺ، وهذا دليل على فطنته وحكمته رضي الله عنه ، وانتباهه وهو في حالة كاتب بين متفاوضين .

والموقف ليس باليسير ، رضي الله عنه لقد علم من بعده درساً في تعظيم لفظ رسول الله ﷺ وهو دليل على تعظيم صاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام ،

---

(١) صحيح مسلم ، مسلم ، مرجع سابق ، (١٤٤٢/٤) حديث رقم ١٨٠٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل ، (٨٦/٤).

(٣) صحيح مسلم ، مسلم ، مرجع سابق ، (١٤٠٩/٣) حديث رقم ١٧٨٣.

وتعظيم الله جل جلاله بتعظيم نبيه ورسوله ﷺ ، وليس في هذا عصياناً منه رضي الله عنه بل إجلالاً وتكريماً .

ثم إن بنود هذا التفاوض قد أذهلت المسلمين ، (قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين من جاء مسلماً) . قال ابن هشام : دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون . وقد أذهل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (..... قال : أتيت النبي ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى . فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال : قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : أيها الرجل إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه[1]. فو الله إنه على الحق . قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً .....) [2].

ويستفاد من هذا الكلام جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى . وأن الكلام يُحمل على عمومه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد ، وأن من حلف على فعل شيء ولم يذكر مدة معينة لم يحنث حتى تنقضي أيام حياته .

---

(١) الغرز : بمثابة ومنزلة الركب للفرس ، وهو كالذي يمسك بركب الفارس فلا يفارقه . الفتح (٣٤٦/٥).

(٢) السيرة النبوية / ابن هشام ، مرجع سابق ، (٣٣٢/٣).

وفي عدم مراجعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير أبي بكر رضي الله عنه دليل على جلالة قدره وسعة علمه عنده ، وفي جواب أبي بكر لعمر بنظير ما جاء به النبي ﷺ سواء ، دلالة على أنه كان أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال رسول الله ﷺ وأعلمهم بأمور الدين .

وهذا القول من النبي ﷺ يدل على أن شروط الصلح لم تكن الموافقة عليها باجتهاد النبي ﷺ ، وإنما بوحي من الله تعالى . ولذلك لم يكن لعمر ولا لغير عمر أن يناقش فيما قضاه الله ورسوله ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦

وبهذا الصلح برز الفرق واضحاً بين وحي النبوة وتدبير الفكر البشري بين توفيق النبي المرسل وتصرف العبقري المفكر ، فقد أراد الله أن ينصر رسوله ﷺ أمام بصيرة كل متأمل عاقل(١).

ويستفاد من قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، درس لأتباع الدعوة ، وهو أن عليهم أن يستشرفوا دائماً أبعاد معركتهم مع عدوهم ، وأن يتفهموا الآراء تعالى بتحمل المسؤولية ، فكثيراً ما يصدر الأتباع أحكاماً ظاهرها الصواب وباطنها الخطأ(٢).

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية / محمد سعيد رمضان البوطي ، ط٦ ، ٢٠١٢م ، دار السلام ، القاهرة ، ص٣٤٧.

(٢) الأساس في السنة / سعيد حوي ، ط٥ ، ٢٠٠٩م ، دار السلام ، القاهرة ، ج٢ ، ص٧٨٨.

من الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة :-

- **أنها كانت مقدمة بين يدي فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً .**
- **أن الهدنة فتحت الباب لاختلاط المسلمين بالكفار ومناظرتهم ودعوتهم حتى أسلم خلق كثير بعد هذه الهدنة .**
- **ما سببه الله تعالى للمؤمنين من زيادة الإيمان والإذعان والانقياد على ما أحبوا وكرهوا ، وما حصل لهم من الرضا بقضاء الله وتصديق موعوده وانتظار ما وُعِدوا به ، فأنزل الله عليهم من سكينته ما اطمأنت به قلوبهم وقويت به نفوسهم(١).**

ومن سبر أغوار صلح الحديبية وخلفياته لا يشك أنه فتح عظيم ، فلقد جنى منه المسلمون فوائد عدة منها :-

١- أن قريش لم تكن تعترف بالمسلمين ، ومجرد جنوحها للصلح يمثل اعترافاً منها بقوة المسلمين وأنها لا تقدر على مقاومتهم .

٢- أن قريشاً بهذا الصلح تنازلت ونسيت صدارتها الدنيوية والدينية ، فلم يعد يهمها إلا نفسها ، فلو دخلت كل القبائل في الإسلام فلا يهمها ذلك .

٣- اكتسب المسلمون بصلح الحديبية حرية كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى في جزيرة العرب مما ضاعف أعداد المسلمين .

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية / البوطي ، مرجع سابق ، ص٣٥٦.

٤- لقد كانت قريش هي التي تبدأ المسلمين بالحرب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ التوبة: ١٣

فوضعت الهدنة حداً لها .

٥-اشتراط رد من جاء إلى النبي ﷺ مسلماً من قريش يظهر مدى خوف قريش من ازدياد المسلمين ، ولكن الله جعل لهم فرجاً ومخرجاً . فتراجعت قريش عن هذا الشرط لما رأت ضرره عليها .

٦-وضع صلح الحديبية حداً لهيمنة قريش على الحرم فلم تعد تقدر على منع المسلمين منه في غير هذا العام[١].

(١) الرحيق المختوم / صفي الرحمن المباركفوري ، ط١ ، ٢٠١٣م ، دار السلام ، القاهرة ، ص٣٥٢-٣٥٤.

الخاتمـــة

الحمد لله على ما أتم من نعمة بإتمام هذا العمل الصغير ، فله الحمد علـــى آلائه ، وأسأله تعالى أن لا يحرمنا أجره ، ولا يبعدنا عن نبيـــه ، ولا عـــن دفء ظلاله ، وبرد العيش في رحابه ، فلقد كانت أياماً طيبة ، ولحظات قيمه مع خـــاتم الرسل ﷺ .

وكم تمنيت أن يطول بي المقام في هذه الساحات الزكية للاغتراف منهـــا ، ونقل ما أغترف من منابع السيرة النبوية وصلح الحديبيـــة خاصـــة إلـــى قلمـــي الضعيف ليخرجها من جديد محمله بمشاعر الإكبار والتقدير ، منغمسة في بحـــر الانبهار الكبير ، لابسة رداء أسلوبي الخاص ، مغموسة في قاموسي الشخصي ، لكن حجم البحث الذي أردته أن يكون عليه يكتفي بهذا القدر ، فهذا البحث لـــيس تأريخاً أو تدويناً لأحداث ، بل هو استنباط لفوائد دعوية ، لـــذلك لا ضـــير مـــن الايجاز ، أو التنقل عبر المواقف وانتقاء بعضها دون بعض .

ومع ذلك تبقى النفس عامرة بالضياء الذي اقتبست مـــن أنـــوار الســـيرة النبوية ولو لم نذكر كل أحداثها هنا ، فما أعظم ما تنعم به النفس من فخر وإيمان في ظلال صلح الحديبية ، لقد اعترض عليه الصـــحابة لأنهـــم قـــدّروا الأمـــور بظواهرها ، ولم يطلقوا لأنفسهم مجال التفكر فيما وراءها ، ولو فعلوا لعلموا أنهم إنما يمسكون مفتاح الفتح بتوقيعهم العهد ، لقد صار الصلح ميداناً كبيراً لانتشـــار الدعوة ، إذ أصبح خيراً على المستضعفين في مكة ، فأمن الناس بعضهم بعضاً ، وصاروا يُظهِرون الشعائر ويتحدثون عن الإسلام حتى إنه كما يُروى : (لم يُكّلـــم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر) . وكان ذلك سبباً في فتح مكة بعد صلحاً لا قتالاً ، بعد أن سارع كثير من أهلها إلى الإسلام ، فلم يقاوموه عند الدخول لفتحها .

النتائج :

١- استنباط الحِكم والفوائد والأحكام من أحداث السيرة وصلح الحديبية .

٢- جمع ما تفرق من استنباطات في كتب السيرة المشهورة الخاصة بصلح الحديبية .

٣- ذكر ما جاء من فوائد دعوية في بعض كتب شروح الحديث حول أحداث صلح الحديبية .

٤- صلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً .

٥- الصلح فتح الباب أمام المسلمين للاختلاط بالكفار ومناظرتهم ودعوتهم حتى أسلم خلق كثير .

٦- هذا الصلح وتحمل المسلمين بما فيه من صعوبات يدل صراحة على أن الهدف من الجهاد ليس تقتيل الناس وسفك الدماء ، بل دعوة الناس إلى هذا الدين وتبليغه إياهم .

٧- إن هذا الصلح وما جاء فيه يفند دعاء البعض إرهابية الإسلام ، ويرد عليهم الواقع والمنطق ببطلان ذلك .

التوصيات :

١- الاتباع الأمثل لمنهج النبي ﷺ دون الابتداع ، لأن ما جاء به ﷺ من ذاك الزمان وإلى الوقت الحاضر كله حق .

٢- على المسلم التروي وعدم التسرع في الحكم على الغير حتى يتبين .

٣- احتمال قلة أدب غير المسلمين في التطاول على الإسلام وردهم رداً جميلاً للمصلحة العامة .

٤- على المسلم استحباب التفاؤل دائماً .

٥- على الإمام أو الأمير إذا ما أُبتدء بطلب الصلح مع العدو لا يرفض مادام فيه مصلحة المسلمين .

اللهم تقبل منا ، وعلمنا ما جهلنا ، وانفعنا بما علمتنا ، واعف يا رب عن كل تجاوز أو زلل ، فإنما التوفيق منك وبك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... وصلي اللهم على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أخلاق الحرب في السيرة النبوية / مروان شيخ الأرض ، دار غار حراء ، دمشق ، ٢٠٠٨م .

٣- الأساس في السنة / سعيد حوي ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

٤- أصول التربية الإسلامية / خالد بن حامد الحازمي ، دار التدمرية ، الرياض ، ١٤٣٢هـ .

٥- بدر التمام في سيرة خير الأنام / علي بن عمر ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠١٥م .

٦- الرحيق المختوم / صفي الرحمن المباركفوري ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠١٣م .

٧- زاد الميعاد في خير هدي العباد / ابن القيم .

٨- السيرة الحلبية / برهان الدين الحلبي .

٩- السيرة النبوية / ابن هشام .

١٠- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية / محمد سعيد رمضان البوطي ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠١٢م .

١١- السيرة النبوية الصحيحة / أكرم ضياء العمري .

١٢- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة / محمد الصوياني ، العبيكان للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٩م .

١٣- صحيح البخاري .

١٤- صحيح مسلم .

١٥- الطبقات الكبرى / ابن سعد .

١٦- فتح الباري من صحيح البخاري .

١٧- فقه السيرة / عبد الكريم الزيد ، دار التدمرية ، الرياض ، ١٤٣٢هـ .

١٨- الفوائد السنية من السيرة النبوية / خالد بن حامد الحازمي ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٦م .

١٩- في ظلال السيرة النبوية / مشعل عبد العزيز ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠١٠م .

٢٠- لسان العرب / ابن منظور .

٢١- المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية .

٢٢- المسند / الإمام أحمد بن حنبل .

٢٣- المعين الرايق من سيرة خير الخلائق / سعيد محمد صالح ، دار الفكر ، القاهرة ، ٢٠١٥م .

٢٤- المنجد / معلوف .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٤١٥
المبحث الأول: مفهوم الفوائد في اللغة والاصطلاح .	١٤١٩
المبحث الثاني : الفوائد المستنبطة من إرادة النبي ﷺ لأداء العمرة .	١٤٢١
المبحث الثالث : الفوائد المستنبطة من تحرك النبي ﷺ للعمرة .	١٤٢٥
المبحث الرابع : الفوائد المستنبطة من نزول النبي ﷺ بالحديبية ومشاورة أصحابه .	١٤٢٩
المبحث الخامس : الفوائد المستنبطة من عقد الصلح مع قريش .	١٤٣٧
الخاتمة .	١٤٤٤
المصادر والمراجع .	١٤٤٧
فهرس الموضوعات	١٤٤٩